بين العربية والعَرَبانية

حسان الحاج إبراهيم

1- بين العربية والعَرَبانية

من الحقائق التي قد يغفل عنها الغافلون أن اللغة العربية لم تعد لغة واحدة في هذا العصر بل تحولت إلى لغتين متباعدتين ، عربية وعربانية (بالفتح) ، وهما لغتان قد تشتركان في أصلهما وألفاظهما وأشياء يسيرة من قواعد النحو والصرف فيهما ، ولكنهما مع ذلك لغتان مختلفتان متباعدتان وما تزالان في تباعد كما يتباعد الخطان المتقاطعان اللذان يحصران زاوية بينهما فينطلقان من نقطة واحدة ولكنهما يأخذان بعد ذلك بالتباعد والابتعاد أحدهما من الآخر فلا يلتقيان بعدها أبداً (الشكل 1) .

والعربية والعربانية ، على ما بينهما في أذهان الناس من شدة الخلط والالتباس ، لغتان في الحقيقة مختلفتان متباينتان ، وإن كانت اللغة العربانية ربما لقبت أحياناً باللغة العربية عند الذين يخلطون بين الأسماء والمسميات فلا يسمون الأشياء بأسمائها ، وربما نسبت نقائص هذه اللغة العربانية وعيوبها إلى اللغة العربية أيضاً .

فأما اللغة العربية فهي هذه اللغة الفصحى الكريمة ، لغة القرآن الكريم والأدب الجاهلي ، ولغة المدنية الإسلامية من بداية نشأتها إلى نهايتها قبل نحو جيل من الزمان .

وأما اللغة العربانية بالفتح فهي اللغة المفرنجة المحدثة المنتشرة اليوم بين العربان ، وهي لغة الكتابة في عصر الانحطاط الحديث فلا يكتب كاتبهم إن كتب إلا بها ، وهي لغة الشعر الذي يلقب بالشعر الحديث أو الجديد ، ولغة الكتاب المقدس عند النصارى واليهود .

وقد ألف الناس قديماً وحديثاً أن يسموا الأشياء بغير أسمائها كما قال الجاحظ في كتاب النساء : " وقد يستعمل الناس الكناية ، وربما وضعوا الكلمة بدل الكلمة ، يريدون أن يظهر المعنى بألين اللفظ ... كما سموا المعزول عن ولايته مصروفاً ، والمنهزم عن عدوه مُنْحازاً ، نعم ، حتى سمى بعضهم البخيل مقتصداً ومصلحاً ، وسمى عامل الخراج المتعدّي بحق السلطان مستقصياً " .

وقد آن أن نسمي الأشياء بأسمائها ، وكفانا هذا الخلط والالتباس بين الأسماء ، " فإن الأسماء إن لم تكن في وفاق مع حقائق المسميات ، كما يقول كُنْگْ فُو ذْزُو (孔夫子) [1] حكيم الصين الأكبر ، فقد وقع الخلط في اللغة وفسدت الأمور واضطرب التفكير . والأمير الذي لا يكون في حقيقته وفي أعماله جديراً بالإمارة ينبغي ألا يسمى أميراً ، والوالد الذي لا يرعى أبناءه ولا يرفق بهم ينبغي ألا يسمى والداً ، والابن العاق لأبيه ليس ابناً . ولو ترك الناس كل اسم لا يدل على مسماه حقيقةً لزالت مفاسد كثيرة تختفي وراء أسماء لا حقائق لها " . وما أظن حكيماً من الحكماء سبق فدعا إلى ما دعا إليه كنگ فو دزو من ضرورة تسمية الأشياء بأسمائها فلا يسمى الغاصب ملكاً ولا الظالم سلطاناً . " ولا يسمى السلطان سلطاناً حتى يكون في حقيقته مُصَدّقاً لاسمه ، فيكون الملك ملكاً والوالي والياً كما يكون الوالد والداً والابن ابناً ، فهذا أساس الملك وعماده " .

وقد آن أن نعيد الحق في ذلك كله إلى نصابه ، وننسب كل منسوب منها إلى بابه ، فنسمي المسحاة مسحاة كما يقول المثل الإنكليزي [2] ونسمي الحمار حماراً ، ولا نسمي الجبر اختياراً ، أو الربا فائدة والجهل علماً ، ولا نسمي البغي والظلم عدالة والطاغية سلطاناً . وقد آن أن تسمى كل لغة من اللغتين باسمها الصحيح ، دون خلط أو التباس بينهما ، فنسمي العربية عربية والعربانية عربانية ، ولا نذكر العربية إن أردنا العربانية ، ولا ننسب إلى العربية نقائص العربانية ، أو ننسب إلى العربانية فضائل العربية . وكل حديث عن اللغة في هذا العصر لا يميز بين اللغتين ولا يدرك ما بين هاتين اللغتين من الفوارق في الخصائص والصفات ، والقواعد والمفردات ، حديث بكيء دَرّه ، عظيم خطره ، لا يرجى خيره ، تقل فائدته وتندر عائدته ، ويفضي إلى كثير من الخلط والالتباس وسوء الفهم بين الناس .

واللغة العربية في حقيقتها وأصلها هي لغة العرب والأمة العربية ، ولا يعد العربي عربياً إن جهلها أو إن لم يتكلمها بالسليقة أو السليقية . وربما قيل إن العربي في الاصطلاح القديم هو من كان نسبه في العَرَب ثابتاً ، يقال هو عَرَبِيٌّ بَيِّنُ العُرُوبَةِ والعُرُوبِيَّة . وحكى

---

[1] أي كنگ فو الحكيم . وقد حرف الفرنجة اسمه فدعوه Confucius وعنهم نقله (العرب) المحدثون فسموه كنفوشيوس (أو كنفشيوس أو كونفوشيوس) .

[2] Call a spade a spade.

الأَزْهَرِيّ : رجلٌ عَرَبِيٌّ إذا كان نسبُه في العَرَب ثابتاً وإن لم يَكُن فَصِيحاً . وربما قيل أيضاً إن العربي هو مَنْ نَزَل بلاد الريف واستَوطَن المُدُن والقُرى العَرَبِية وغيرَها ممن يَنْتَمِي إلى العَرَب ، على خلاف من كان بدوياً ونَزَل البادِيَةَ أو جاورَ البادِين فظَعَن بظَعْنِهم وانْتَوى بانْتِوائِهم فهذا يقال له أَعْرَابِيٌّ ، وسَواءٌ أكانَ من العَرَبِ أم مِن مَوالِيهِم . أما المذهب المختار والرأي الذي نميل إليه فهو أن العربية ليست نسباً ولا موطناً ، وليست بأب ولا أم ، وإنما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربية بالسليقة فهو عربي ومن جهلها وتركها لم يكن عربياً بحال من الأحوال . وقد روي في ذلك عن أبي سلمة بن عبد الرحمان قال : جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي فقال : هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هؤلاء ؟ فقام إليه معاذ بن جبل فأخذ تلبيبه ، ثم أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره مقالته ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى دخل المسجد ، ثم نودي الصلاة جامعة ، وقال : أيها الناس ، إن الربّ واحد والأب أب واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي . فقام معاذ بن جبل وهو آخذ بتلبيبه قال : فما تأمرنا بهذا المنافق يا رسول الله ؟ قال : دعه إلى النار ، فكان قيس ممن ارتد في الردة فقتل . وهذا الحديث مع ذلك حديث ضعيف ، وقال الألباني : ضعيف جداً . ولكن المذهب الذي يذهب إليه صحيح فيما نظن ، وليس العربي في اعتقادنا إلا من يتكلم العربية بالسليقة أو السليقية ، يقال فلان يتكلم بالسليقة والسليقية أي ينطق بالكلام الفصيح دون تعلم ، والسليقي هو الذي يتكلم بطبعه دون تعلم ، ومنه قول الشاعر :

ولستُ بنحْويٍّ يلوك لسانه ولكن سليقيٌّ أقولُ فأعْرِبُ

أما (العرب) المحدثون فليسوا عرباً بأي معنى من المعاني . فأما النسب فليس تصح للعرب المحدثين في أكثرهم أنساب معروفة في قبائل العرب ، فلا يمكن أن يعدوا في العرب بهذا المعنى . ومع أن الكثرة الكاثرة من (عرب) اليوم قد نزلوا بلاد الرِّيفِ واستَوطَنوا المُدُن والقُرَى ، فإن ذلك لا يكفي كي يعدوا من العرب ، ولم يصح انتماؤهم إلى العرب كما ذكرنا . وليس في (العرب) المحدثين بعد ذلك من يتكلم العربية بالسليقة أو السليقية حقيقة ، أو من يقول فيعرب ولا يلوك لسانه . بل إن (العربي) من هؤلاء إذا ما تكلم لم يزل يلوك لسانه ، فإذا احتفل ارتضخ لكنة أعجمية ، وخلط كلامه بالكلام الأعجمي يتظرف بذلك ويتشدق به ويتفيهق ، حتى إذا استطاع هَجَر العربية جملة وآثر عليها لغة من لغات الفرنجة التي قد يشدو شيئاً منها أو يلم بشيء من مبادئها ، وتراه فوق ذلك أشد الناس كراهية للعربية الفصحى وتحاملاً عليها بالفعل والقوة إن لم يكن بالقول والكلام المرسل على عواهنه دون فكر أو روية ، فإن وصف اللغة العربية الفصحى لم يصفها بلسان الحال أو بلسان المقال إلا بكل ما رذل من الصفات ، ثم تجده وهو يحاربها أشد المحاربة في كل موقف وفي كل مقام .

وقد آثر (العرب) المحدثون للدراسة والتعليم في مدارسهم ومكاتبهم سوى العربية من لغات الأعاجم ، وافتخروا بذلك ، وغالوا فيه ، ونبذوا العربية وراءهم ظهرياً ، وارتضوا أن يكونوا جاهلين بالعربية كل الجهل وأن ينشأ أبناؤهم على الجهل بها . وقد أراد (العرب) المحدثون الاتكاء على اللغات الفرنجية في التعليم وحاولوا ذلك ، ولكنه لم يتح لهم في ذلك من التوفيق والنجاح في الأغلب ما كانوا يريدون ، فقد أخفقوا فيه إخفاقاً . وقد وجدنا طائفة من المدارس (العربية) التي تزعم أن التعليم فيها باللغة الإنكليزية تخفق في ذلك كل الإخفاق ، فيخرج طلابها وهم يجهلون اللغة الإنكليزية جهلهم باللغة العربية ، كما يجهلون العلم الذي كان ينبغي أن يدرسوه فيها ، فقد أضاعوا العربية والإنكليزية والعلم جميعاً ، فلم يكن شأنهم في ذلك إلا كشأن الغراب الذي يقال إنه أراد أن يحاكي في مشيته الحجلة أو القطاة فلم يقدر على ذلك وصار أقبح الطير مشياً ، وسمي فيما قيل أبا المرقال لذلك ، كما قال الشاعر :

إن الغراب وكان يمشي مشية فيما مضى من سالف الأجيال

حسد القطاة ورام يمشي مشيهافأصابه ضرب من العقال

فأضل مشيته وأخطأ مشيها فلذاك سموه أبا المرقال

وقد جاء خبر الغراب هذا في كتاب كليلة ودمنة ، فقد زعموا أنه كان بأرض الكرخ ناسك عابد مجتهد فنزل به ضيف ذات يومٍ ، وكان هذا الناسك يتكلم بالعبرانية ، فاستحسن الضيف كلامه وأعجبه ، فتكلف أن يتعلمه ، وعالج في ذلك نفسه أياماً . فقال

الناسك لضيفه : ما أخلقك أن تقع مما تركت من كلامك وتكلفت من كلام العبرانية في مثل ما وقع فيه الغراب ! قال الضيف : وكيف كان ذلك ؟ قال الناسك : زعموا أن غراباً رأى حجلة تدرج وتمشي فأعجبته مشيتها ، وطمع أن يتعلمها فراض على ذلك نفسه ، فلم يقدر على إحكامها ، وأيس منها ، وأراد أن يعود إلى مشيته التي كان عليها ، فإذا هو قد اختلط وتخلع في مشيته ، وصار أقبح الطير مشياً ، وإنما ضربت لك هذا المثل لما رأيت من أنك تركت لسانك الذي طبعت عليه ، وأقبلت على لسان العبرانية ، وهو لا يشاكلك ، وأخاف ألا تدركه ، وتنسى لسانك ، وترجع إلى أهلك وأنت شرهم لساناً ، فإنه قد قيل : إنه يعد جاهلاً من تكلف من الأمور ما لا يشاكله ، وليس من عمله ولم يؤدبه عليه آباؤه وأجداده من قبل .

وكذلك فقد خلف في العرب من بعدهم خلف أضاعوا اللغة العربية وتركوها وأهملوها وأقبلوا على لسان الأعجمية ، ورجعوا إلينا وهم شر لساناً ، قد فقدوا العربية ولم يقدروا على إحكام الأعجمية .

وكذلك فإن (العرب) المحدثين لم يعودوا عرباً بأي معنى من المعاني ، وهم فوق ذلك ليسوا من المستعربة كذلك . والمستعربة قَوْمٌ مِن العَجَم دلُوا في العرب فتَكَلَّموا بِلِسَانهم وحَكَوْا هَيْآتِهِم ولَيْسُوا بصُرَحَاءَ فيهِم . و(العرب) المحدثون لا يتكلمون اليوم بلسان العرب في الحقيقة ولا يحكون هيئاتهم ، فلا يمكن أن يعدوا من المستعربة ، على أنهم في غالب أمرهم ليسوا بصرحاء في العرب . أما الحقيقة التي لا ريب فيها فهي أن (العرب) المحدثين عربان أو عربانيون بالفتح وليسوا عرباً ، ولا تكاد تربطهم بالعروبة والعربية إلا صلة واهية .

والعَرَباني بالفتح كلمة نسبت إلى العرب بزيادة الألف والنون قبل ياء النسبة . وقد نقلت عن القدماء كلمات كثيرة نحوا فيها هذا النحو وزادوا فيها الألف والنون قبل ياء النسب للدلالة على معنى جديد فقالوا شَعري وشعراني ورقبي ورقباني ، ونسبوا إلى تحت فقالوا تحتاني ، ونسبوا إلى فوق فقالوا فوقاني . وقد جمع بعضهم طائفة من هذه الكلمات في معجم اختصه بذلك وجمع فيه ما صح وما لم يصح من هذه الكلمات [1] . وقد اختلف النحاة مع ذلك في هذا الضرب من النسبة بين من يجعله شاذاً يسمع ولا يقاس عليه ، وبين من يجعله أصلاً يقاس عليه ، أو يجعله مما يطرد لكثرته ، فالألف والنون يُزادان كثيراً في النسب كما يقول الزبيدي في تاج العروس (حتى كاد ذلك يطرد لكثرته) . بل كانوا في البصرة ونواحيها ربما اكتفوا بالألف والنون في النسب دون الياء فخرجوا بذلك عن أصول اللغة الفصيحة الصحيحة ، (وإلحاق الألف والنون في النسبة لغة كانت مستعملة في البصرة ونواحيها ، ونحو ذلك قولهم : حَكَمان وهي ضياع بالبصرة سميت بالحكم بن أبي العاص الثقفي ، وعبد اللان وهي قرية سميت بعبد الله) كما يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان . وعَبّادان مدينة من مدائن العراق ، سميت بعَبّاد بن الحصين التميمي [2] ، وهي مدينة قريبة من البصرة وبينهما 25 ميلاً ، كانت تقع قديماً على ساحل بحر فارس ، فكانوا يقولون في أمثالهم : ما وراء عَبّادان قرية . ولكنها اليوم تبعد عن البحر نحو 28 ميلاً .

وقياساً على ذلك فقد كانوا ربما سموا من تكلم بالعربية ولم يكن من العرب عربانياً بالفتح ولم يسموه عربياً . وقال محمّدُ بن بِشْر : حدَّثنا أبَانٌ البَجَلِيُّ عن أَبَانة بْنِ تَغلِبَ وكان عَرَبَانِياً بالفتح ، عن عِكْرِمَة ، فذَكَرَ حَدِيثاً . قال الرُّشَاطِيّ : إنَّه عارِفٌ بِلِسَان العَرَب ، وقَاله بالأَلِف والنون ليُفَرِّقَ بينه وبَيْن العَرَبِيّ النَّسَب ، كذا قاله الحافِظ . وكذلك يجوز أن نقول عن (العرب) المحدثين إنهم عربان أو عربانيون ، إذ لا يصح لهم نسب في العربية ولا تصح لهم لغة ، كما يجوز أن نقول عن لغتهم إنها عربانية بالفتح وليست عربية .

وبين اللغتين العربية والعربانية تباين وتنافر في الخصائص والصفات ، وبينهما كذلك فوارق كبيرة في المفردات والاصطلاحات ، وفي أساليب البيان والكتابة والتعبير ، وفي قواعد الصرف والنحو والنظم والتحرير . ومن الغلط الذي لا يغتفر ، ما ألفناه من هذا الخلط بينهما ، ومن الجهل بحقيقة حالهما ، فتذكر العربية حين يكون الحديث عن العربانية ، أو تذكر العربانية وهم يريدون العربية .

2- اللغة العربية الفصحى

والعربية لغة تمتاز دون سائر اللغات بصفات قلما تشاركها بها سواها ، وهي لغة غنية بمفرداتها وطرائق الاشتقاق وتوليد الكلمات فيها ، وهي لغة الوزن والقافية التي لا تماثلها في ذلك لغة من اللغات .

2,1- واللغة العربية من أغنى اللغات بالمفردات إن لم تكن أغناها على الإطلاق . والذي يرجع إلى معجمات المعاني يجد ثروة عظيمة من الكلمات مع دقة في التعبير لا يجدها المرء في لغة أخرى من اللغات . ولنضرب على ذلك مثالاً من القطع . فالقطع عام ، والقَطّ القطع

عرضاً ، والقدّ القطع طولاً ، والجلف القطع من غير استئصال ، والبتر القطع مع الاستئصال ، والخَذْم القطع السريع ، والحرت القطع المستدير ، والحذف قطع الشيء من طرفه ، والتقوير أن تقطع من وسط الشيء حرفاً مستديراً ، والجث قطع الشيء من أصله ، والجدع قطع الأنف والأذن ، والكشد القطع بالأسنان ، والقرض القطع بالناب الخ .

2,2- واللغة العربية هي لغة الاشتقاق التي لا توازن بها لغة أخرى من اللغات . وأي لغة أخرى يمكن بها اشتقاق كلمات خاصة للزمان والمكان والآلة والفاعل والمفعول والفضلة والمرض والعلة واللون والحركة وغيرها ، وأي لغة أخرى يمكن بها اشتقاق أفعال مختلفة المعنى من الفعل الواحد فيقال كتب وكتّب وأكتب واكتتب واستكتب وكاتب وتكاتب وانكتب ، كما يقال كاتب ومكتوب ومكاتِب ومكاتَب وكتاب وكتيب ومكتب ومِكتب ومكتاب ومكتبة ومِكتبة وكتابة وهلم جرا .

والنفط كما هو معروف يكرر في أبراج التكرير وتفصل منه المواد الخفيفة التي تخرج من أعلى البرج ومن جوانبه متبخرة أو متكثفة ، وتبقى منه بقية تخرج سائلة من أسفل البرج ، تعرف في اللغة الإنكليزية بالفضلة أو البقية فيقال Residue أو Residuum وهما كلمتان عامتان لا يعرف المعنى المطلوب منهما إلا من فحوى الكلام وسياقه ، أو قد يضطر الناطق باللغة الإنكليزية إلى الاستكثار من الكلمات إذا أراد الدقة في العبارة فيقول Reduced crude oil أو يقول Topped crude oil . ونحو ذلك قد يقال عن اللغات الأخرى كالفرنسية والألمانية والفارسية ، فيقال في الفرنسية Residue atmospherique أو يقال Brut réduit ويقال في الألمانية Der atmosphärische Rückstand ويقال في الفارسية : تفالـهٔ تقطير أو پَس ماندهٔ تقطير . ولا يستحيل في العربية أن نفعل ما فعله القوم في اللغات الأخرى فنسمي هذه الفضلة فضلة أو بقية أو نسميها بقايا التكرير الجوي ، ولكن اللغة العربية تستطيع ما لا تستطيعه اللغات الأخرى الغنية المتقدمة ، فيمكن بها اشتقاق كلمة واحدة صحيحة دقيقة تعبر عن المعنى المطلوب بلا لبس ولا إشكال ، فيمكن أن نشتق من النفط اسماً للفضلة خاصاً بها على وزن فُعالة ، وهو الوزن المخصص في اللغة العربية للفضلات ، فنقول نُفاطة كما قالت العرب نشارة ونخالة وبرادة ونحوها .

2,3- واللغة العربية دون سائر اللغات لغة تمتاز بعروضها وأوزان الشعر فيها . " فقد انتظمت مفرداتها وتراكيبها على الأوزان والحركات .. فالمصادر فيها أوزان ، والمشتقات أوزان ، وأبواب الفعل أوزان ، وقوام الاختلاف بين المعنى حركة على حرف الكلمة تتبدل بها دلالة الفعل ، بل يتبدل بها الفعل فيحسب من الأسماء أو يحتفظ بدلالته على الحدث حسب الوزن الذي ينتقل إليه . هذه أصالة في موضع الوزن من المفردات والتراكيب لا يستغرب معها أن يكون للوزن شأنه في شعر هذه اللغة ، وأن يكون شأنها في نظم أشعارها على خلاف المعهود في منظومات الأمم الأخرى " [3] .

وبذلك أصبح الشعر الموزون في اللغة العربية فناً مستقلاً عن سائر " الفنون التي يستند إليها الشعر في كثير من اللغات . فلا حاجة بالشعر العربي إلى إيقاع الرقص الذي يصاحب إنشاد الشعر في اللغات الأخرى ، لأن أشعار تلك اللغات تستعير الحركة المنتظمة من دقات الأقدام وحركات الأجسام في حلقات الرقص أو اللعب المنسق على حسب خطوات الإقبال والإدبار والدوران ، ولا حاجة بالشعر العربي إلى ملازمة الإيقاع المستعار من الرقص واللعب لأن أوزانه مستقلة بإيقاعها الذي يميز أقسامها وحدودها ويغنيها عن الأقسام والحدود في الفنون الأخرى . ولا حاجة بالشعر العربي إلى مصاحبة الغناء لترتيب أوقاته وضبط مواقع المد والسكون في كلماته ، لأنه مرتب مضبوط في كل كلمة ، بل في كل جزء من أجزاء الكلمة ، ويجمع بين الحركة والسكون ... فما من كلمة عربية تخلو من حرف متحرك وحرف ساكن على اختلاف الترتيب بين الحركة والسكون وما من وزن على وضع من الأوضاع لا تضبطه حركة الشعر المسموع بغير حاجة إلى الغناء " [3] .

وليست هذه الخاصة المميزة في اللغة العربية مما تشاركها فيه اللغات السامية الأخرى " فإننا إذا أخذنا سطراً على حدة من قصيدة عبرية لم نستطع أن ننسبه إلى وزن محدود أو مقياس متفق عليه ، ولا بد من اقترانه بسطور أخرى يتم بها الإيقاع ولا تطرد في قول كل شاعر ولا في سطور كل قصيدة ، فهو والفاصلة النثرية التي يمكن أداؤها بالغناء أو بالإيقاع على حركة الرقص متساويان " [3] . وقد " اقتبس شعراء اللغة العبرية أوزان العروض العربية بعد اتصالهم بالعرب .. فلم يكن للعبريين شعر موزون قبل ذاك " [3]

وقد لا يزيد الإيقاع في بعض اللغات على الموازاة بين السطور بغير ضابط متفق عليه . أما أكثر اللغات الفرنجية فيعتمد الشعر فيها على عدد المقاطع والنبرات ، ولكن هذه اللغات " لغات ناشئة ليس لها ضابط صحيح في اللفظ : متى يكون المقطع فيها طويلاً أو قصيراً ، متى يكون على المقطع نبرة أو لا يكون نبرة ، كيف نلفظ حرف العلة مثلاً ... تلك كلها أشياء راجعة إلى الاستعمال ، والاستعمال في هذه اللغات مختلف جداً .. إن العروض موسيقى والموسيقى تحتاج إلى تقسيم للكلمات مستقر جازم ..." لذلك كانت اللغات الفرنجية فقيرة في العروض [4] .

والشعر الإنكليزي يقوم على النبرات ومواقعها ، ولكن موقع النبرة مع ذلك يتعلق بإرادة القارئ والمعنى الذي يفهمه من الشعر [5] . وكثيراً ما يضل القارئ فلا يعلم إن كان في المقطع نبر أو لا ، وهو ما يسميه علماء الإنكليز بالنبرة الحائمة (Hovering stress أو Hovering accent) [5] . وربما أمكن أن يقطع البيت عندهم بطرائق متعددة مختلفة . يقول Pope من قصيدة له (من بحر Iambic pentameter) :

```
Most women have no characters at all.
```

إن هذا البيت قد يقطع بطرائق ثلاث هي [5] :

```
Móst Wó / měn hăve nŏ / Chárăctĕrs / ăt áll
spondee / tribrach    / dactyl     / iamb.
```

أو

```
Mŏst Wó /  měn hăve nó /  Chárăctĕrs /  ăt áll
 iamb. /  anapaest     /  dactyl     /  iamb.
```

أو

```
Móst Wó / měn háve nó / Chárăctĕrs / ăt áll
spondee /  bacchius  /  dactyl     / iamb.
```

وربما اختلط الأمر عند القوم بين النثر والشعر حتى جاز لطابعي كتب شكسبير مثلاً أن يختلفوا في بعض المناظر المرسلة من كلامه ، فحسبها بعضهم من المنثور وحسبها غيرهم من المنظوم كما يقول أحد العلماء الباحثين في الأوزان والأعاريض [3] .

ويذهب الأستاذ العقاد إلى أن امتياز اللغة العربية بفن الشعر الموزون فيها " هو الذي يسر النظم المطبوع لأصحاب السليقة الشعرية من الناطقين باللغة العربية منذ أقدم عصور الجاهلية إلى هذه الأيام ، فإن الشاعر المطبوع ينظم الأشعار في بحورها المتعددة بغير حاجة إلى علم يدرسه ويستهدي به غير سليقته الفنية . ولم تكن بالشعر الجاهلي حاجة إلى دراسة العروض ولا إلى تعريف أسماء البحور وتقسيم ضروب التفاعيل ، وليس لناظم الزجل في أيامنا هذه حاجة إلى ذلك وهو ينظم في كل بحر من بحور العروض وكل مجزوء من مجزوءاتها ، وإنه ليجهل أسماءها وقد يجهل قراءتها في الورق كما يجهل معانيها إذا هي قرئت عليه ، وكثيراً ما نظم الأزجال في بحور العروض المتعددة أناس من الأميين جهلوا كتابة الحروف كما جهلها قبل مئات السنين شعراء الجاهلية المشهورون . ولولا جريان اللغة في ألفاظها وتراكيبها على السليقة الموسيقية لما تيسر ذلك للشاعر الجاهلي بالأمس ، ولا للزجال الأمي في هذه الأيام " [3] .

2,4- ولا تظهر خصائص اللغة العربية الفصحى في كتاب من الكتب كما تظهر في القرآن الكريم . والقرآن الكريم كتاب معجز في أسلوبه وبيانه ، سحر به العرب وغير العرب في القديم والحديث ، فلا يكل قارئه ، ولا يمل سامعه ، ولا يخلق على كثرة التلاوة ، بل " كانوا يجدون له وقعاً في القلوب ، وقرعاً في النفوس يرهبهم ويحيرهم " كما يقول السيوطي في (إتقان القرآن) ، حتى كان الرجل الكافر العنيد إذا سمع القرآن سحره بيانه وأطربه إعجازه ، فرق قلبه ، وربما آمن به . وفي ذلك يقول Dawood في مقدمة ترجمته لمعاني القرآن الكريم [6] :

```
It is my belief that the Koran is not only one of the greatest books of
prophetic literature but also a masterpiece of surpassing excellence.
```

2,5- وبعد فهذه هي اللغة العربية الفصحى ، وهذه خصائصها وصفاتها ، فما شأن العربانية المحدثة وكيف يمكن ميزها من اللغة العربية الفصحى ، وما أبرز خصائصها وصفاتها ؟

فأما ميز اللغة العربانية من اللغة العربية فأمر هين يسير وهو من أيسر الأمور وأسهلها لمن يعرف اللغتين ، على خلاف ما قد يظن المرء للوهلة الأولى ، فاللغة العربانية هي على النقيض من العربية في جميع صفاتها وخصائصها ، فإذا كانت اللغة العربية لغة غنية بمفرداتها وطرائق الاشتقاق وتوليد الكلمات فيها ، فاللغة العربانية لغة فقيرة بالمفردات والاصطلاحات ، لا يعرف الاشتقاق فيها ولا توليد الكلمات ، بل تقوم على النقل المباشر والمحاكاة من سائر اللغات واللهجات . وإذا كانت اللغة العربية لغة الوزن والقافية التي لا تماثلها في ذلك لغة من اللغات ، فاللغة العربانية هي لغة الشعر الحديث الذي لا يعرف وزن فيه ولا قافية . وإذا كانت اللغة العربية لغة البيان والفصاحة ولغة التراث والأصالة فإن اللغة العربانية لغة فَلَنقَسة (هجين من قبل أبويها جميعاً) مُرَدّدَة في الهجناء قد كادت تنبت صلتها باللغة العربية الفصحى وبلغات العامة أيضاً . ثم إن من خصائص هذه اللغة العربانية الأخرى التي تضاف إلى فقرها بالاصطلاحات والتصورات ركاكة الأسلوب فيها وضعفه ، وافتقاد الدقة العلمية فيها ، وافتقاد الفصاحة والبيان . أما قواعد النحو والصرف في اللغة العربانية فهي تميل على التدريج إلى محاكاة قواعد النحو والصرف في اللغات الفرنجية والابتعاد ما أمكن عن قواعدهما في اللغة العربية الفصحى . وربما قرأ العربان المحدثون الأدب العربي لذلك كله فأساؤوا فهمه لأنهم يفسرونه وكأنه أدب عرباني لا عربي .

3- اللغة العَرَبانية

3,1- وفي الشعر الحديث أو الجديد ، كما في الكتاب المقدس عند النصارى واليهود ، تبرز خصائص اللغة العربانية المحدثة وصفاتها كما لا تبرز في سوى ذلك من المواطن .

وقد قامت في عصر الانحطاط الحديث طائفة من الأدعياء والمتشاعرين من العربان المتفرنجين من أصحاب ما يسمونه بالشعر الحديث بالدعوة إلى شعر حر ، ولا يمكن للشعر أن يكون حراً بالمعنى الذي يريدونه ، وأما شعرهم الحر هذا فلا يعدو أن يكون ضرباً من النثر الموزع على سطور مختلفة متفاوتة تفتقد الوزن والقافية كما تفتقد اللحن والإيقاع والمعنى ، وربما يجد المرء أن خير ما يعرف به هذا الضرب من الكلام هو (الشعر السائب) كما سماه الأستاذ عباس محمود العقاد ، وأن خير ما يوصف به هذا (الشعر) الحديث السائب ما وصف به الحافظ هيثم شعر أبي عمرو بن طَيْفور الباجي حين قال يهجوه [8] :

لابن طيفور قريض فيه شك وغموض
عدمت فيه القوافي والمعاني والعروض

وقد جاوز هذا الشعر في سوئه الغاية حتى خرج من الشعر جملة وعاد نثراً سخيفاً رقيعاً كما قال الشاعرُ الإنكليزيُّ Pope في صفة أمثاله من الكلام في بعض رسائله (Epistle to Arbuthnot) :

```
And he, whose fustian's so sublimely bad,
It is not poetry, but prose run mad.
```

والسخافة هي رقة العقل ، والرقيع هو الذي كأن عقله قد أخلق وتمزق فاحتاج إلى أن يُرقع . أما أهم خصائص هذا الشعر الحديث فيلخصها الأستاذ الكبير عمر فروخ في خصال هي : ضعف التعبير وغموضه ، والحقد على اللغة العربية والدين الإسلامي وحب الاتكاء على معاني التوراة والأناجيل وعلى الخرافات القديمة ، مع الإعراض ما أمكن عن معاني القرآن الكريم [4] . يقول الأستاذ الكبير : " واذكر يرحمك الله أن القوم دعاة تجدد ، والتوراة والإنجيل والخرافات الوثنية التي هي من قبل التاريخ جديدة عندهم . أما القرآن الكريم فهو عندهم قديم ، ولكنهم لا يعلمون أن القرآن كلام الله القديم الذي نسخ كل كلام قبله " [4] . وكذلك فقد سئل علي أحمد باكثير عن هذا (الشعر) الحديث وعن عزوفه عنه فقال إن هذا (الشعر) قد " اتخذه الشعوبيون والمنحرفون عن الخط العربي الإسلامي مطية لهم حتى كاد يصير عنواناً لهم " .

ومن خصائص هذا الشعر الحديث الأخرى كذلك الدعوة إلى إلغاء الأوزان العربية والقوافي ، هذه الدعوة التي يقول الأستاذ الكبير العقاد إنه لا يدعو إليها غير واحد من اثنين : " عاجز عن النظم الذي استطاعه الشاعر العامي في نظم القصص المطولة والملاحم التاريخية من أمثال السيرة الهلالية وسيرة الزير وغيرها من السير المشهورة المتداولة ، أو عاجز عن النظم الذي استطاعه الشاعر العامي والشاعرة العامية في نظم أغاني الأعراس ونواح المآتم وأمثال الحكمة والنصيحة على ألسنة المتكلمين باللهجات الدارجة . ولا خير للفن في

كلام يقوله من يعجز عن هذا القدر من السليقة الشعرية والملكة الفنية ، وأحرى به أن يأتي بما عنده في كلام منثور ويترك النظم وشأنه بدلاً من هدم الفن كله وحرمان اللغة من آثار القادرين عليه . ونحن نستشهد بالقصاصين وناظمي الملاحم العامية والأغاني الشائعة لأن في استطاعتهم نظم القصص والملاحم والأغاني والأناشيد بغير تعلم ولا معرفة ثقافية (مما) ينفي عن الأوزان العربية تلك الصعوبة المزعومة التي يدعي الأدعياء أنها تجعل النظم العربي من أصعب فنون النظم في اللغات العالمية ، ونسكت عمداً في هذا المقام عن الملاحم المترجمة التي نقلها إلى العربية أناس من المثقفين المطلعين على الآداب والعلوم ، فإن المتشاعرين الأدعياء قد يزعمون أن تذليل هذه الصعوبة عمل يحتاج إلى الثقافة والاطلاع ولا يقتدر عليه عامة المترجمين .

'' فإن لم يكن نقص الملكة الفنية سبب العجز عن أوزان الشعر العربي والدعوة إلى إبطال هذه الأوزان فهو إذن عمل من أعمال الهدم الصراح عن سوء نية وخبث طوية ، يتعمده المجاهرون به لتقويض معالم اللغة ومحو آثار الأدب وفصم العلاقة الفكرية بين روائع الثقافة العربية في مختلف العصور ، وتلك شنشنة نعهدها في العصر الحاضر من دعاة الهدم المستترين وراء كلمات التقدم والتجديد . وأين يعمل هؤلاء عملهم الهادم إن لم يكن هذا عملهم المقصود من وراء الستار ؟

'' إن هدم الفن الجميل الذي امتازت به لغة العرب بين لغات العالم لا يصدر إلا عن عجز أو إصرار على الهدم ... ولا خير في دعوة يتولاها العجز العقيم والضغينة النكراء '' [3] .

وقد كانت ركاكة الأسلوب في اللغة العربانية المحدثة أمراً مقصوداً للابتعاد بهذه اللغة المحدثة عن اللغة العربية الفصحى ولغة القرآن الكريم . ويذكر الأديب مصطفى الشكعة في كتابه عن مصطفى صادق الرافعي [9] أن إبراهيم اليازجي حاول في ترجمة الكتب المقدسة عند النصارى '' أن يضعها في الأسلوب العربي الذي يليق بها وأن يختار ألفاظها ويزيل عجمتها ويباعد بينها وبين فساد تركيب جملتها فأبى عليه المشرفون على عملية الطباعة أن يفعل ذلك '' ، ثم يتابع المؤلف كلامه فيقول : '' ومن هذا القبيل أيضاً من محاولة الإبقاء على ركاكة أسلوب الكتاب المقدس والحيلولة بينه وبين أن يكون على مستوى أسلوبي رفيع ما ذكره أحمد فارس الشدياق في كتابه (كشف المخبّا عن فنون أوربا) من أنه كان يعرب التوراة أثناء وجوده في إنكلترة ، وكان يشرف على الترجمة قسيس إنكليزي يعرف شيئاً من العربية ، فكان كلما كتب الشدياق جملة فصيحة سارع إليها القسيس ومسخها واستبدل بها جملة ركيكة ... فإذا سئل القسيس عن الهدف من وراء ذلك أجاب بأنه إنما يريد أن يباعد بين أسلوب التوراة وأسلوب القرآن '' . وقد نجح القسيس وإخوانه في ذلك كل النجاح فباعدوا كل البعد بين أسلوب اللغة المحدثة (العربانية) وبين اللغة العربية الفصحى ولغة القرآن الكريم .

3,2 – ومن المشاهد أن قواعد النحو والصرف في اللغة العربانية ما تزال تميل على التدريج إلى محاكاة قواعد النحو والصرف في اللغات الفرنجية والابتعاد ما أمكن عن قواعدهما في اللغة العربية الفصحى . ومن الأمثلة الطريفة في ذلك حذف واو العطف بين الأسماء المعطوفة في اللغة العربانية تقليداً ومحاكاة للغات الفرنجية ، واستبدال الفاصلة بها وإن كانت الواو العربية والفاصلة متماثلان في الحجم وفي الشكل أيضاً .

والاختزال كما هو معروف هو حذف كلمة أو أكثر مع بقاء دلالة على المحذوف من اللفظ أو السياق ، وهذا من قولهم : لا بد أن يكون فيما أبقى دليل على ما ألقى ، وإلا صار اللفظ مخلاً بالفهم . والاختزال في العربية قسم من أقسام الحذف ، وهو شائع في القرآن الكريم ، وهو مع ذلك أمر معروف شائع في اللغات الفرنجية نفسها ، وإن اختلفت أساليبه عنها في العربية . ولعل أقرب مثال على ذلك باب من أبواب الاختزال شائع في اللغات الفرنجية ، وقد بدأ يأخذ طريقه كذلك إلى العربانية المحدثة وإن كان في العربية الفصحى باباً من أبواب الخطأ والركاكة ، وهو حذف المضاف إليه ، فيقال في الإنكليزية : The doors and windows of the room ، كما يقال في الألمانية : Die Türen und Fenster des Zimmers ، وكما يقال في العربانية : أبواب ونوافذ الغرفة ، أما الصحيح الفصيح في اللغة العربية فهو أن يقال : أبواب الحجرة وخوخاتها . والخَوْخة : كوة تؤدي الضوء والهواء إلى البيت ويُنْصَب عليها باب صغير يكون من زجاج غالباً ، وقد يقال لها كذلك الكوة ، وسماها ابن جبير في كتاب رحلته : المضوى . أما في لغة المحدثين فيقال لها النافذة ، كما يقال لها بلغة العامة في الشام : الشُبّاك . والشباك في اللغة العربية هو ما يوضع من الخشب أو القصب المُحَبّك ونحوه

على صنعة البواري . وقد كانت الشبابيك (أو المشربيات) من أبرز سمات المنازل العربية كما تشاهد من خارجها قبل أن تشيع الخوخات والكوى (الشكل 2) . والغرفة في العربية هي العُلّية وهي الحجرة العالية التي يرتقى إليها . والمحدثون يخلطون في المعنى بين الغرفة والحجرة .

3,3 – والعربانية لغة ركيكة فقيرة فجة ، تفتقد فيها المصطلحات في أبواب العلم وفروعه . وربما عمد المترجم العرباني إلى كتاب أدبي قد كتبه كاتبه بلغة سهلة خفيفة دون أن يتعمد أن يكثر فيه من الغريب أو يؤثر الحوشي من الكلام ، ولكنه قد يكثر فيه مع ذلك من ذكر التصورات والآلات وأصناف الطير والأسماك والنبات وغيرها مما يألف القارئ عندهم أسماءه ولا ينكرها ، فيجد المترجم العرباني نفسه عاجزاً عن نقل ذلك كله إلى اللغة العربانية نقلاً صحيحاً دقيقاً ، وهو لا يجد لهذه التصورات والأسماك والآلات التي قد يكثر الكاتب من ذكرها أسماء في اللغة العربانية ليعبر بها عما يريد الكاتب ، وليس أمامه من حل عندئذ إلا أن يهمل هذه التصورات والطيور والأسماك والآلات وغيرها مما يجهله القارئ العرباني هذه الأيام ويجهل الكلمات العربية الدالة عليه ويعدها من الكلام الحوشي الغريب غير المأنوس .

والاصطلاح مشكلة لا تقوم إلا في الأمم المتأخرة ، وقد كانت اللغة العربية لغة العلم والتعليم مئات السنين ، ووضعت فيها المصطلحات في سائر العلوم من أدبية واجتماعية وطبيعية وهندسية وطبية ، ولا نعلم أنه وجدت في أثناء ذلك مشكلة اصطلاح أو غيره ، ومن الطريف أن المرء قد يرجع إلى ثلاث معجمات في اللغة العربية الفصحى مؤلفات في أزمان مختلفة وفي بلاد متباعدة بعد ما بين الهند والقِرْم والأندلس [3] فيجد وحدة في الاصطلاح واتفاقاً في عصور لم تكن تعرف فيها الطباعة ولا أجهزة الاتصال السلكي وغير السلكي ، في حين أن المرء قد يرجع إلى كتاب عرباني محدث فيجد تنافراً واختلافاً في المصطلحات التي يستعملها الكاتب الواحد في الكتاب الواحد بين صفحة من صفحات كتابه إلى صفحة أخرى . وعلى خلاف ذلك نجد في اللغة الإنكليزية الأولى في مبدأ تاريخها مشكلة اصطلاح كبرى ، حين كانت الأمة الإنكليزية أمة متخلفة قاصرة .

وقد عجز العربان المحدثون في ضعفهم وتخلفهم وفرقتهم عن الاتفاق على ما يستعملونه من الاصطلاحات ، وكان من أثر ذلك استعمال الاصطلاح الواحد لجملة من التصورات المختلفة ، ثم تعدد الاصطلاحات المستعملة أحياناً للتصور الواحد . وأدى ذلك إلى هذه الفوضى في الاصطلاح حتى أصبح التعبير الصحيح الدقيق باللغة العربانية المحدثة متعذراً أو عسيراً ، وانتفت الفائدة من هذه المصطلحات كلها ، والاصطلاح الذي لا يتفق عليه ولا يصطلح على استعماله لغو وفضل من القول لا خير فيه .

و التبسيط سمة من أبرز السمات في اللغة العربانية ، ونعني بالتبسيط في هذا المقام الاقتصار على كلمة واحدة لتؤدي معاني عدد من التصورات ، فتنبذ الاصطلاحات المختلفة والتصورات المتباينة في معانيها بلفظة واحدة لا تؤدي المعنى ، وتخلق اللبس والغموض في ذهن القارئ أو السامع . ولنضرب مثلاً على كثرة المصطلحات في اللغة الإنكليزية وندرتها في اللغة العربانية المحدثة من كلمة (الدقة) . فالدقيق (أو المدقِق) هي الكلمة الوحيدة المعروفة في اللغة العربانية المحدثة لمعنى الدقة ، في حين تعبر اللغة الإنكليزية بعدد كبير من الكلمات عن هذا المعنى ، ومن هذه الكلمات :

Precise, accurate, punctual, exact, just, rigorous, meticulous, scrupulous, punctilious, careful, particular, strict.

ولو شئت أن أزيد في هذه السلسلة لزدت .

3,4 – والعربان المحدثون لا يضعون الاصطلاحات وإنما ينقلونها نقلاً لفظياً ثم لا يراعون في هذا النقل دقة ولا فصاحة . والمصطلحات القليلة المستعملة في اللغة العربانية على قلتها وتناقضها واختلافها في معانيها مصطلحات دخيلة غالباً غير فصيحة ، ركيكة لا تراعى دقة في المعنى فيها ولا صحة في العبارة ولا فصاحة ، إذ تمتاز اللغة العربانية في جملة ما تمتاز به بالعجز عن الاشتقاق وتوليد الكلمات والاعتماد على النقل المباشر عن سائر اللغات ، فتنقل أسماء الأعيان بألفاظها الأعجمية دون تغيير ، وهو كثير ، فيسمون الخرشف : أرضي شوكي (= Artichoke) ، ويسمون النفط بترولاً والعنفة توربيناً والطلق تالكاً ، أو قد تنقل أسماء الأعيان الأعجمية مضافة إلى جنسها فيقولون سمك التراوت (= Trout) وطائر الكيوي (= Kiwi) وفحم الكوك (= Coke) ، وربما عمد بعضهم إلى ترجمة معاني الكلمات

---

[3] وهذه المعجمات هي كتاب المخصص لابن سيده الأندلسي المتوفى سنة 458 والكليات لأبي لبقاء الكفوي القِرمي المتوفى سنة 1094 وكشاف اصطلاحات الفنون لمحمد علي التهانوي الهندي المتوفى بعد سنة 1158 .

في اللغات الأعجمية ترجمة لفظية ، وكذلك يقال في العربانية (هجرة الطير والسمك) لما يعرف في العربية بالقطوع ومنه قطوع الطير والسمك ، وينبذ البر بلقب (النمر المخطط) ، ويسمون القردحة (تفاحة آدم = Adam's apple) ، ويسمون الكتف : لوح الكتف (= Shoulder blade) وقس على ذلك .

والكمبيوتر لفظة أعجمية غير معربة ، وهي لفظة ناشزة في العربية ، وقد شاعت مع ذلك كل الشيوع في اللغة العربانية ، فلما أراد بعضهم ترجمتها سماها حاسباً أو حاسوباً . فأما الحاسب في اللغة العربية فهو اسم فاعل وليس اسم آلة ، فيمكن أن يطلق على مستعمل الكمبيوتر لا على جهازه ، وأما الحاسوب فهو من أوزان المبالغة لاسم الفاعل ، ونحوه الفاروق ، وهو اللقب الذي لقب به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وخير من الحاسب والحاسوب والكمبيوتر جميعاً كلمة المِحْساب . والمحساب اسم من أسماء الآلة ، وأوزان اسم الآلة في اللغة العربية ثلاثة هي : مِحْسَب ومحسبة ومحساب . ولما كانت الزيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى ، فأنا أوثر المحساب للكمبيوتر . وقد تطلق المحسبة عندئذ على ما يعرف الآن بآلة الحساب غير الآلية التي تحتاج إلى حاسب يوجهها في عملها (Calculator) ، ويترك المحسب للإطار ذي الأسلاك التي تنزلق عليها كرات كانت تستعمل قديماً في الحساب (Abacus) (الشكل 3) .

3,5 – ومنهم من يجهد جهده في وضع اصطلاحات لا تنفع لأنه يظن أنه لا بد أن يضع لكل اصطلاح أعجمي مقابلاً عربانياً . وقد ألف النقاد من الفرنجة أن يقسموا الشعر عندهم إلى شعر غنائي Lyric وملحمي Epic ومسرحي Dramatic ، وهي قسمة لا تصح في رأينا ولا معنى لها ولا ينبغي أن تؤخذ على علاتها . فأما ما يعرف عندهم بالشعر المسرحي فما هو إلا مسرحيات منظومة قد تضم فيها الشعر أو لا تضمه ، وما هي إلا ضرب من الكتابة المسرحية ليس إلا كما أن أرجوزة ابن سينا في الطب ليست إلا ضرباً من الكتابة الطبية وليست ضرباً من الشعر بحال من الأحوال . وأما الملاحم فهي كما يعرفونها قصائد طويلة تصف الأبطال ووقائعهم ويمكن أن نسميها شعر البطولة والأبطال أو شعر الحماسة ، ولا حاجة لفصل هذا الضرب من الشعر عن سائر أغراض الشعر التي لا يستطاع حصرها ، فلا يبقى إلا الشعر الغنائي أو الشعر الذي كان يقصد فيه إلى الغناء قديماً ولكنه امتد من بعد واتسع نطاقه حتى أصبح يشمل كل شعر ما عدا شعر الملاحم والمسرحيات ، فقد أصبح يعني الشعر مطلقاً أو يعني منه شعر التأمل دون غيره أو لا يعني في الحقيقة شيئاً معروفاً متفقاً عليه بين الشعراء والنقاد . فليس لهذا الاصطلاح في الحقيقة من معنى ويستحسن لذلك إهماله ولا حاجة لترجمته على الإطلاق ، وقد جاء حَدّه في معجم أكسفرد على هذا النحو :

Lyric poetry: The name for short poems, usually divided into stanzas or strophes, and directly expressing the poet's own thoughts and sentiments.

وهو خير تعريف لهذا الاصطلاح ، وهو تعريف يصلح للشعر عامة .

3,6 – وربما وجد المرء في اللغة الإنكليزية أو غيرها اصطلاحات خاطئة غير صحيحة ، ولكن التراجمة عندنا ينقلون هذه الاصطلاحات إلى اللغة العربانية بأخطائها دون إدراك أو تمحيص . فالترذيذ تدبير يراد به تحويل الوقود السائل إلى رذاذ أي إلى قطيرات دقيقة ناعمة يسهل إحراقها ، وقد عرف هذا التدبير في اللغة الإنكليزية باصطلاح خاطئ غير صحيح ، فقيل له فيها Atomization أي التحويل إلى ذرات ، وليست القطيرات ذرات وإن بلغت دقتها ما بلغت ، فأما التراجمة المحدثون من العربان فنقلوا الاصطلاح الإنكليزي الخاطئ نقلاً وقالوا : تذرير ، وقد علموا أو كان ينبغي أن يعلموا أن الوقود السائل لا يحول في الحقيقة ولا يفصل إلى ذرات وأن ذلك لا يمكن ولا يطلب ولا يراد . وقد أدرك العلماء الألمان ذلك فتنبهوا إلى ما غفل عنه التراجمة من العربان ، فاصطلحوا على تسمية الترذيذ في لغتهم باصطلاحين لا صلة لهما بالتذرير هما Versprühen و Zerstäuben [4] .

---

[4] وارجع في ذلك إلى مجلة Physik in unserer Zeit (المرجع [7]) ، وجاء فيها :

Das Zerteilen einer Flüssigkeit in vielen Tropfen wird landläufig als Zerstäuben bezeichnet; treffender wäre es von Versprühen zu sprechen. Abwegig ist die in Ausland benützte Bezeichnung „ Atomizieren- atomizing" ; selbst feinste Tropfen übertreffen Atome noch um Größenordnungen.

3,7 – وربما أهمل بعضهم الاصطلاحات العربية الفصيحة المهمة لأنه لا يجد لها مقابلاً في اللغات الأخرى . فاللحم في اللغة هو طريقة من طرائق وصل الفلزات باللِحام ، واللِحام هي المادة يلحم بها (= Solder) ، ولكن الفلزات قد تلصق كذلك دون لحام بضرب من الوصل يقال له في العربية الهندمة ، وهو وصل الفلزات بالضغط أو بالحرارة ، قال الخوارزمي : والمُهَنْدَم : أن يلتصق الشيء بآخر فلا يمكن تحريكه من غير أن يلصق أو يلحم بلحام . ولا أعرف في اللغة الإنكليزية اصطلاحاً خاصاً بهذا الضرب من الوصل إلا أن يقال : Welding with pressure (or heat) .

وفي العربية يقال للماء إذا أصبح جامداً أو قريساً : جَمد وقَرَس ، وأقْرَس الماءَ وقَرّسه : جَمّده (وكلاهما في الإنكليزية Freeze) . فإذا أوشك الماء أو السائل أن يَجْمُد قيل : جَمَّد الماءُ أو السائلُ ، ولا أعرف في الإنكليزية أو غيرها اصطلاحاً خاصاً بذلك . وفي العربية مئات من أمثال هذه الكلمات ، ولكنها تهمل جميعاً في العربانية ولا يستفاد منها في التعبير العلمي الدقيق .

3,8 – واللغة العربانية تهمل الكلمات والاصطلاحات العربية على شدة الحاجة إليها وتهجرها وتنبذها ، فإن استعملت بعض هذه الكلمات العربية فيها ، فإنها تستعمل في الغالب بمعان منقولة عن اللغات الأعجمية لا صلة لها بمعاني هذه الكلمات في اللغة العربية . والقارئ اليوم إن بحث عن معاني الكلمات المكتوبة باللغة العربانية في معجمات اللغة العربية الفصحى يخطئ المعنى المطلوب فيها ولا يصيبه ، بل لا بد له من البحث عن معاني هذه الكلمات في المعجمات الإنكليزية أو الفرنسية . والمرء الذي يقرأ كتاباً أو فصلاً مكتوباً باللغة العربانية قد يجد لفظاً يجهل معناه أو عبارة لا يفهمها ، وسبيله في الفهم عندئذ هو أن يحاول أن يرجع باللفظة أو العبارة إلى أصلها في اللغة الإنكليزية أو الفرنسية ، ثم يبحث عن المعنى المطلوب في معجمات هاتين اللغتين . فإذا ذكر العرباني المحدث أسنان اللبن أو الأسنان اللبنية فلن ينفعنا في معرفة مراده أن نرجع إلى معجم عربي ، ولن ينفعنا أن نظن أنه يعني أسناناً من اللبن أو أسناناً تربطها باللبن صلة ما فليس يعرف في الأسنان مثل هذه الأسنان ، ولن ينفعنا عندئذ إلا أن نعلم أن أسنان اللبن هي نقل لفظي لاصطلاح إنكليزي (Milk teeth) ، وأن هذه الأسنان اللبنية ما هي في الحقيقة إلا ما يعرف في العربية بالرواضع ، والراضعة هي كل سِنّ تُثْغَر . قال أبو زيد : وإذا سقطت رواضع الصبي قيل : ثُغِر ثَغْراً فهو مَثْغور .

وكذلك فقد تبدو الكلمتان العربية والعربانية متماثلتين لفظاً وكتابة ولكنهما تختلفان في المعنى مع ذلك كل الاختلاف ، فأما معنى الكلمة العربية فيجده طالبه في مظانّه من كتب اللغة العربية وكتب الأدب العربي ، وأما المعنى في اللغة العربانية فلا يجده طالبه إن طلبه إلا في كتب اللغات الأعجمية ومعجماتها ، فالكلمتان العربية والعربانية رفيقان مفترقان أو صاحبان كاذبان كما قد يقال لهما في اللغة الإنكليزية (False friends) أو الإسبانية (Falsos amigos) . فالزيت في العربية هو دهن الزيتون لا غيره ، أما الزيت في اللغة العربانية فيراد به ما يراد بكلمة Oil في اللغة الإنكليزية ، أي السائل اللزج الثخين ، فتطلق الكلمة الإنكليزية على الأدهان (= Fatty ois) كما قد تطلق على طائفة من السوائل المعدنية ولا سيما النفط (= Mineral oils) ، فيقال للنفط في هذه اللغة Oil أيضاً ، كما يقال للنفط زيت في العربانية كذلك ، وإن لم يكن بين الزيت والنفط من صلة من الصلات .

والبربري في اللغة العربية هو واحد البربر أو الكثير الكلام بلا منفعة ، أما البربري في اللغة العربانية فيراد به ما يراد بكلمة Barbarian في اللغة الإنكليزية ، أي الغريب الجلف الجافي غير المتمدن ، وهي كلمة منقولة في أصلها عن اللغة اليونانية القديمة ، فقد كان اليونان الأقدمون شأنهم في ذلك شأن سائر الأمم من قديمة وحديثة يحسبون أنهم هم وحدهم أهل المدنية والفصاحة وما سواهم من الأمم أجلاف بداة أو برابرة كما كانوا يقولون (بَارْبَرُس βάρβαρος) فكل من كان غير يوناني كان أعجم اللسان أو كان جِلْفاً أو بربرياً ، حتى إنه ينسب إلى ثاليس المَلَطي (Θαλῆς) من حكمائهم قوله إنه سعيد الجد إذ خلق إنساناً ناطقاً ولم يخلق حيواناً أعجم ، وخلق رجلاً ولم يخلق امرأة ، وخلق يونانياً ولم يخلق من البرابرة .

ولوبِية هي القارة العظمى الثانية من قارات العالم والنسبة إليها لوبي ، أما في العربانية واللغات الفرنجية والمفرنجة الأخرى فتعرف باسم أفريقيا (= Africa) . وإفريقية في العربية هي بلاد المغرب أو المغرب الأدنى . وجاء في معجم البلدان تعريف إفريقية : " وهو اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية ، وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس ... وحد إفريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة

والإسكندرية إلى بجاية ، وقيل إلى مليانة ... وقال أبو عبيد البكري الأندلسي : حد إفريقية طولها من برقة شرقاً إلى طنجة الخضراء غرباً ، وعرضها من البحر إلى الرمال التي في أول بلاد السودان ، وهي جبال ورمال عظيمة متصلة من الشرق إلى الغرب " . وفي أصل كلمة إفريقية خلاف بين العلماء ، ولكن أصح المذاهب في ذلك هو أنها ترجع إلى كلمة عَفَر في اللغة الكلدانية والتي تعني التراب . والعَفَر والعَفْر في العربية : التراب أو ظاهر التراب ، جمع أعفار ، ويقال : عَفَره في التراب يعْفِره عَفْراً وعَفَّره تعفيراً فانعفر وتَعَفَّر : مرّغه فيه أو دسّه . والعُفْرة : غبرة في حمرة ، وقد تسمى الأرض عَفِرة ، وهو من العُفْرة لون الأرض ، وفي الحديث أنه مر على أرضٍ تسمى عَفِرة فسماها خَضِرة . والأعفر : الرمل الأحمر . وقد أطلق الرومان على أهل قرطاجة من بلاد المغرب الأدنى اسم Afri المشتقة من عفر ، وربما كان ذلك للون أرضهم أو لما فيها من الرمال ، فهي أرض عَفِرة . فلما غلب الرومان من بعد على هذه البلاد جعلوا قرطاجة حاضرة ولاية رومانية عرفت باسم ولاية Africa أو إفريقية كما عرفت من بعد في اللغة العربية ، حيث كانت تلحق كلمة ica في اللاتينية بأسماء البلدان .

وفي الجدول (1) طائفة أخرى من أمثال هذه الكلمات التي تتماثل في ألفاظها وكتابتها ولكنها تختلف في معانيها بين العربية والعربانية كل الاختلاف .

3,9 – وربما أهمل أحدهم المصطلح العربي الصحيح الفصيح الذي يجهله واستبدل به مصطلحاً خاطئاً لا حاجة به . ومن ذلك أنهم يسمون العروق أوعية دموية (= Blood vessels) وهي مجاري الدم في جسم الحيوان . ويسمون علم التجويد علم الصوتيات (= Phonetics) وهو علم يبحث في مخارج الحروف وصفاتها . ويسمون السباع لواحم (= Carnivores) ، وهي من الحيوان ما أكل اللحم خالصاً . ويسمون السواك (أو المسواك) فرشاة أسنان ، ويسمون الشَوْص والاستياك تفريشاً ، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشوص فاه بالسواك . ومنهم من يحسب أن المسواك لا بد أن يكون من عود الأراك أو نحوه من العيدان ، ولا صحة لهذا ، بل المسواك اسم لكل ما يستاك به من عود كان أو من غيره ، وفي الفارسية يقال للتسوك : مسواك زَدَن ، ويقولون : (او) دندانِ خودرا مسواك زَد ، أي استاك .

3,10 – ومنهم من قد تكون له في وضع الاصطلاحات الخاطئة واستبدالها بالاصطلاحات العربية الصحيحة غاية يخفيها ولا يبديها ، ومن ذلك أنهم سموا الربا بغير اسمها فجعلوها (فائدة) (يريدون بذلك تحسين اسمها) ، وقال قائلهم : قد حرم الله الربا تحريماً ولكن الفائدة لم تذكر في القرآن الكريم ولم تحرم ، وإنما هي استثمار لا صلة له بالربا . وكأنما حرم الله اسم الربا بلفظه ولم يحرم حقيقته . وربما ذكرت الربا في بعض الكتب العربانية بأسماء أخرى أيضاً ، ومن ذلك كتاب عرباني ذكرت الربا فيه بغير اسمها ولقبت (ربح النقود في المعاملات) .

الجدول 1 : اختلاف الكلمات في معانيها بين اللغتين العربية والعربانية

الكلمة	معناها في اللغة العربية	معناها في اللغة الأعجمية (الإنكليزية) وفي اللغة العربانية
الفطور = الإفطار	ما يتناوله الصائم ليفطر عليه من الطعام . وأفطر الصائم قطع صيامه بتناول مفطراته ، وأفطر فلان في وقت الفطر ، وأفطر الشيء الصوم أفسده يقال هذا العمل يفطر الصائم .	الغَداء = الصَبوح = التَصْبيح = الضَحاء (= Breakfast) : وهو طعام الغُدْوة الذي يُتَغَدَّى به ، أو هو ما يؤكل في أول النهار ، وفي التنزيل : وآتنا غداءنا . وربما سمي السحور غداء لأنه للصائم بمنزلة الغداء للمفطر ، ومنه حديث ابن عباس : كنت أتغدى عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رمضان ، أي أتسحر . وقال ابن عباس : أرسل إلي عمر يدعوني إلى السحور وقال : إن رسول الله سماه الغداء المبارك . والعربان المحدثون يطلقون الغداء على ما يؤكل نصف النهار (= Lunch) ، أما في الفارسية فيقال للصَبوح : صُبْحانه ، وهي كلمة منقولة عن العربية ، فالفارسية أقرب في ذلك إلى العربية من العربانية .
الحكومة	الفصل بين المتنازعين (= Arbitration) .	Government السلطان .
العاصمة	المدينة ، والعواصم : بلاد معروفة	Capital city

	، قصبتها أنطاكية .	الحاضرة = القاعدة
الكنيسة	معبد اليهود (= Synagogue) ، ولا أعرف له اصطلاحاً خاصاً في العربانية .	Church (1) البِيعة (معبد النصارى) (2) الأمة أو الملة . (3) سلطان القساوسة .
المدرسة	الموضع الذي يُدْرَس فيه (= College) . وهو ما يقال له في العربانية : كلية .	(1) الكُتّاب أو المكتب (= School) . (2) المذهب من مذاهب الفكر أو الفقه أو الفلسفة ، أو الجماعة الذين يذهبون في ذلك كله أو بعضه مذهباً معيناً (School of thought) .
المعهد	المنزل الذي لا يزال القوم إذا تناءَوْا عنه رجعوا إليه (= Haunt) .	Institute = Institution . (1) موضع اجتماع طائفة من الناس يجمعهم غرض واحد . (2) طائفة من الناس يجمعهم غرض واحد

ومما قد ينسب إلى الخداع أيضاً أنهم يترجمون كلمة Secular في اللغة الإنكليزية وما يقابلها في لغات الفرنجة الأخرى بقولهم : عِلْمانية ، بالكسر ، فيخيلون للعامة من الأميين وأشباههم أن لذلك صلة بالعِلم الذي هو نقيض الجهل والذي يقابل الدين ويناقضه . وكلمة Secular الإنكليزية مشتقة في أصلها من كلمة لاتينية (Saeculum) بمعنى العالَم أو القرن (من الناس أو الزمن) أو العمر . و Secular في اللغة الإنكليزية كلمة يراد بها ما هو خلاف الدين ، فكل ما كان Secular فهو غير ديني أو يهمل الدين كل الإهمال ، و Secularism مذهب يدعو إلى إقصاء الدين عن الحياة السياسية والاجتماعية في الأمة وفي التعليم ، أو هو مذهب يدعو إلى نبذ الدين بالمفهوم الفلسفي أو يدعو إلى نبذ الدين في بيان ما ينبغي أن يكون عليه سلوك المرء في حياته (= Ethics) . فالدين وهذا المذهب ضدان متناقضان .

وكان سلطان الدين قد التبس في أذهان العامة والخاصة من الفرنجة بسلطان القساوسة والمطارنة والبابوات ، وكان هؤلاء القساوسة والمطارنة والبابوات مع ذلك مثال الفسق والفجور والفساد ، وكانوا يصدون عن سبيل الله ويأكلون أموال الناس بالباطل ويدعون إلى الجهل ويحاربون العلم والعلماء . وكان القساوسة والمطارنة والبابوات قد استطاعوا في بعض بلاد الفرنجة أن يؤسسوا لسلطانهم بعد انهيار السلطان في بلاد الدولة الرومانية الغربية ، فلما أراد الملوك والأمراء من بعد أن يقيموا سلطانهم عارضهم القساوسة والمطارنة والبابوات في ذلك فكان ما نعرفه من هذا الصراع في التاريخ الفرنجي بين سلطان القساوسة الذين إليهم أمر الدين في أذهان العامة والخاصة ، وسلطان الأمراء الذين إليهم أمر الدنيا ، فقد كان هذا الصراع من أبرز مظاهر التناقض والانفصام بين الدين والحياة ، وكانت الدعوة إلى فصل ما بين الدين والحياة دعوة في الحقيقة إلى نفي سلطان القساوسة والمطارنة والبابوات في الحياة . وقد كان الصراع بين القساوسة والأمراء صراعاً طويلاً في التاريخ الفرنجي إلى أن انتهى هذا الصراع أخيراً بغلبة سلطان الأمراء وإقصاء القساوسة عن كل سلطان ، فكان ذلك في عرف العامة وأشباههم انتصاراً للدنيا على الدين .

وربما كان الأصل في هذا الفصام والصراع بين الدين والحياة عند النصارى عامة كلمة نسبت إلى عيسى بن مريم في الإنجيل ، فقد جاء في الأناجيل المتداولة المعتمدة [5] أن نفراً من اليهود الربانيين [6] أرادوا أن يستدرجوا عيسى عليه السلام ليقول ما يغضب عليه

---

[5] إنجيل مَتّى (22 ، 15 – 22) ، وإنجيل مَرْقَص (12 ، 12 – 17) ، وإنجيل لوقا (20 ، 20– 26) .

[6] والربانيون فرقة من فرق اليهود ، وهي الفرقة الباقية من اليهود إلى الآن فيما يذهب إلى ذلك العلماء والمؤرخون ، وكان هؤلاء الربانيون ربما عرفوا كذلك بالفريسيين (Pharisees) ، وجاء ذكرهم في الأناجيل ووصفوا فيها بأنهم قوم يشتغلون بالمظهر دون المخبر كالقبر المشيد ، ظاهره رخام وباطنه سخام كما يقول العامة في بعض أمثالهم ، ووصفهم المسيح بأنهم قوم يقولون ما لا يفعلون ، ويأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ، وعلى المؤمنين مع ذلك طاعتهم فيما يأمرون به دون محاكاتهم في أفعالهم . والفريسيون كلمة مشتقة من أصل عبراني (پيروشيم) من فعل پَرَش أو من أصل سرياني (پَرَز) ، ونحوهما في العربية فَرَز ، والفَرْزُ هو عَزْلُ شيءٍ من شيءٍ ومَيْزُه ، كالإفرازِ يقال : فرزَه يَفرِزُه ، بالكسْر ، فَرْزاً ، وأَفْرَزَه أي مَازَه . فيقال إن هؤلاء الربانيين

السلطان ، فجاءه بعضهم فسأله إن كان يجوز في مذهبه أو يحل أن تدفع الإتاوة لقيصر ، وقد أدرك عيسى ما كانوا يبتغون من المكر به ، وقد علم أنه إن أفتى بتحريم دفع الإتاوة فقد أثار عليه ما لا يطيقه من غضب السلطان ، ولم يكن فيما نظن يريد أن يفتي بجواز دفع الإتاوة صراحة ، فلم يجد بداً من أن يلجأ إلى الحيلة والتقية ، فقال لسائله : آتني فلساً ، فلما جاءه بالفلس نظر فيه وقال : أي صورة هذه على الفلس وأي نقش ؟ قال السائل : هذه صورة قيصر ونقشه ، فقال عيسى عندئذ : فلتعط ما لقيصر لقيصر وتدع ما لله لله . ولم يكن عيسى يجرؤ على أن يقول غير ما قال ، فقد أبطل بقوله مكر السائل الذي سأله ، ولو كان ظن أن السائل إنما يسأل ليعرف ويتعلم لا ليمكر به لكان أجابه فيما نظن جواباً غير هذا ، فما أظن أن عيسى عليه السلام لم يكن يعلم أن قيصر وما لقيصر وما لله كل ذلك لله ، فلله ملك السماوات والأرض وما فيهن . وقد خدع النصارى بظاهر هذا القول فيما نحسب فنشؤوا وهم يعتقدون بهذا الفصام بين قيصر وما لقيصر وبين الله وما لله ، أو يعتقدون الفصام بين الدين والدنيا ، أو بين سلطان القساوسة الذين إليهم أمر الدين في العرف العام وسلطان الأمراء الذين إليهم أمر الدنيا .

وليس يعرف في تاريخ الإسلام مثل هذا الفصام والصراع بين سلطان القس وسلطان الإمام ، وليس في الإسلام كهنة ولا قساوسة ولا مطارنة ولا بابوات ، وما كان خلفاء المسلمين وأئمتهم قساوسة ولا مطارنة ، فلم تعرف العربية لذلك هذا الاصطلاح الذي يقابل الدين ويناقضه ، ولم يضع العرب له لفظاً خاصاً به حتى جاء عصر غلبة الفرنجة ووضع التراجمة اصطلاح العلمانية في اللغة العربانية ، فاشتقوا لهذا الاصطلاح اسماً مشتقاً من العَلْم (بالفتح) الذي هو بمعنى العالَم لا من العِلم (بالكسر) الذي هو نقيض الجهل ، واشتقوا ذلك بزيادة الألف والنون قبل ياء النسبة للدلالة على هذا المعنى الغريب الطارئ في اللغة ، وما كان اختيارهم لكلمة العَلْم (بالفتح) التي قد تلتبس في أذهان العامة وأشباههم بكلمة العِلم (بالكسر) دون سائر الكلمات التي تدل في العربية على العالَم أو الحياة الدنيا اتفاقاً أو مصادفة ، بل كان ذلك في الأغلب اختياراً مقصوداً يجوز معه أن يتوهم المتوهم أن العلماني ينسب إلى العلم بالكسر ، ولا ينكر النسبة إلى العلم عالم أو جاهل ، ولا مُشاحّة في فضل هذا العلم الذي ينسب العلماني إليه توهماً وخطأ ، فإن اختلف العلماني والداعي إلى الدين لم يكن خلافهما في نظر العامة إلا خلافاً بين العلم المرغوب فيه ونقيضه ، ولا نقيض للعلم إلا الجهل ، وهذا الجهل منكر متروك مرغوب عنه لا يقر بالرغبة فيه عالم ولا جاهل .

وكذلك قالوا عن الأشربة المسكرة إنها مشروبات روحية فخيل إلى من لا علم عنده أن لهذه المسكرات صلة بالروح التي هي من أمر الله والتي تقابل المادة الكثيفة وتناقضها . والمسكرات أنواع كثيرة فمنها الأنبذة كالخمر وهي نبيذ العنب ، والبِتْع وهو نبيذ العسل ، والجعة وهي نبيذ الشعير ، وهي التي ربما قيل لها في لغة العامة البيرة نقلاً عن اسمها في اللغة الإنكليزية . وهذه الجعة ربما عرفت عند العامة في مصر أيضاً بالبوظة [7] ، ولكن البوزة في حقيقة وضعها هي نبيذ الدخن أو الخبز اليابس كما جاء في تذكرة الأنطاكي ، والعامة من الإنكليز ربما سموا الخمر Booze ، وهي كلمة تستعمل فعلاً بمعنى شرب الخمر أو أفرط في شرابها ، وهي كلمة يعود أصلها في اللغة الإنكليزية إلى المئة السابعة من الهجرة الشريفة ، ويقال في المعجمات إن أصلها مجهول ، وقد تكون منقولة عن العربية . ومن أنواع المسكرات بعد ذلك روح النبيذ (= Spirits) ويصنع من النبيذ بتقطيره ، ومنه العرق المعروف في الشام ، ويصنع من الخمر . وقد سمي روحاً لأن القدماء كانوا يسمون الجزء الخفيف الطيار الذي يخرج من المادة عند تقطيرها روحاً ، ومنه روح الزهر وروح النعناع وروح الملح (Spirit of salt, HCl) وروح النفط (= Naphtha) وغيرها ، ومنه روح النبيذ ، ولا صلة بين هذه الأرواح كلها وبين الروح في الأحياء من الإنسان والحيوان .

اعتزلوا سائر اليهود أو اعتزلوا الآثام ، فعرفوا بالمعتزلة ، وكانت هذه الفرقة ربما دعيت لذلك في بعض المخطوطات العربية القديمة التي ترجمت فيها الأناجيل بالمعتزلة ، وإن كان المعتزلة في الاصطلاح فرقة معروفة من فرق المسلمين .

[7] أما البوظة في الشام فتعني ضرباً من الحلواء ، وهي حلواء تصنع من اللبن الحليب (والبيض في الأكثر) وتُبَرّد حتى تجمد وتؤكل باردة ، وهي النقيعة في اللغة العربية .

والخمر في أساسها غول وماء وأمزجة أخرى ، فأما الماء فتبلغ نسبته في الخمر نحو 81 ٪ منها ، وقد تختلف نسبته فيها بين 85 و 90 ٪ . وأما الغول فتبلغ نسبته نحو 12 ٪ ، وهو (نصيب الشيطان) من الخمر كما دعاه أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو الغول الإيتيلي أو الإيتانول (= Ethanol = Ethyl alcohol) ، ويقال له كذلك روح النبيذ أو روح الخمر (= Spirit of wine) ، وهو مركب صيغته C_2H_5OH ، وهو سائل خفيف بخور سريع الاشتعال لا لون له وفي طعمه شيء من حلاوة ، تبلغ كثافته 0,789 غ/سم^3 في الدرجة 20°م . وإذا خلط الغول والماء فإنهما يمتزجان ولا يتزايلان ، وإن نقص حجم المزيج الحاصل عن مجموع حجميهما قبل المزج ، فلو مزج مئة سم^3 من الغول مع مئة سم^3 من الماء لكان حجم المزيج الحاصل 192 سم^3 ، وهو أقل من مجموع حجمي الغول والماء قبل امتزاجهما .

ولا تقتصر الخمر على الغول والماء بل تكثر فيها المركبات الأخرى من السكاكر والمعادن والحموض وغيرها ، وهي مركبات مهمة تكسب الخمر نكهتها ومذاقها ، وربما بلغت عدة هذه المركبات المختلفة نحو ألف مركب كما قدر بعض الباحثين ، وقد تشكل هذه المركبات نحو 7 ٪ من حجم الخمر (الشكلان 4 و 5) .

وقد يمكن بتقطير الخمر أو طبخها إخلاصها من الجزء الأعظم من الغول فيها ، وإن لم يكن من اليسير إخلاصها منه إخلاصاً تاماً . والغول أشد بخراً من الماء ، إذ يغلي الماء في الدرجة 100°م في الضغط الجوي المعياري ، في حين يغلي الغول في الدرجة 78,5°م ، فإذا طبخت الخمر فإن الغول يتبخر منها أول ما يتبخر ويخرج منها ، فتبقى منها بقية لا تسكر .

والطِلاء هو ما يطبخ من عصير العنب (المتخمر) حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه ، ويقال له بالفارسية : مَيْ پُخْته ، أي النبيذ المطبوخ . والطلاء لا يسكر ، ومن اليسير حساب نسبة الغول فيه إذا افترضنا أن الخمر تقتصر في تركبها على الغول والماء ، ولذلك صلة بدرجة الحرارة المستعملة في طبخ الخمر ، إذ تتغير نسبة الغول في السائل الباقي وفي البخار الساطع بتغير هذه الدرجة من الحرارة كما يبين الشكل 6 .

والطلاء حلال مباح شربه وبيعه ، إلا أن السكر منه حرام وهذا الذي عليه أكثر العلماء . وكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإحلال الطلاء (غير المسكر) ، وسئل سعيد بن المسيب : ما الشراب الذي أحلّه عمر رضي الله عنه ؟ فقال : الذي يطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه . وكان بعض العرب مع ذلك يسمي الخمر طلاء ، يريد بذلك تحسين اسمها لا أن الطلاء هو الخمر . وفي الحديث : سيشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها ، يريد أنهم يشربون النبيذ المسكر ، ويسمونه طلاء تحرجاً من أن يسموه خمراً ، كما يأكل نفر من المسلمين المحدثين الربا ويسمونها فائدة .

والباذق بكسرِ الذال وفتحِها هو النبيذ الذي يطبخ فيذهب منه أقل من نصفه . وقيل : هو ما طبِخ من عَصِيرِ العِنبِ أَدنَى طَبْخَةٍ فصارَ شَدِيداً ، وأَوَّل من وَضَعَه بَنُو أُمَية ، ليْنقلُوه عن اسم الخَمر ، وَكُلُّ مسْكِر خَمْر ، لأن الاسمَ لا يَنقله عن معناه المَوْجُودِ فيهِ . والباذق تعريب بادَهْ وهو اسم الخَمرِ بالفارسِيَّةِ .

ومن أنواع الشراب ضرب يعرف بالشراب الخالي من الغول (= Dealcoholized = Nonalcoholic) وهو ضرب من الشراب الذي لا يخلو في حقيقته من الغول وإن سمي خالياً من الغول [8] ، وقد تصل نسبة الغول فيه حتى 0,5 بالمئة [9] ، وهي نسبة قليلة قد لا تصل بشاربها إلى السكر ، وهي في ذلك كالطلاء ، والطلاء حلال مباح شربه وبيعه كما ذكرنا . ويستحسن جمهور العلماء مع ذلك أن يتجنب هذه المشروبات ونحوها كل من يخشى أن يصاب بداء الإدمان (= Alcoholism) ، فللغول وإن قلت نسبته في الشراب ضراوة . وطبخ الخمر مع ذلك يفسد مذاق الطلاء الحاصل منها ، لذلك فإنهم يلجؤون في الغالب إلى إخلاص الخمر من الغول دون تسخينها ، ولذلك طرائق مختلفة أهمها التقطير في الضغط المخلخل والنضح البخاري Osmotic distillation

---

[8] وأما المشروب الذي يخلو من الغول حقيقة فيعرف باسم : Alcohol-free .

[9] وهي النسبة التي يحددها القانون في الولايات المتحدة الأمريكية .

وكان Bruce Lackey (1349-1409) قساً أمريكياً عمل في عدة بيع كما كان عميداً لمدرسة الكتاب المقدس عند النصارى (= Bible) وعالماً يتقن اللغة اليونانية ، وقد ألف بضعة كتب وقضى آخر سنوات عمره في الرحلة والمحاضرة ، وكان يعتقد أن الترجمة الإنكليزية للكتاب المقدس في عهد الملك يعقوب والتي تعرف باسم King James Bible هي كتاب منزل موحى به من الله سبحانه وتعالى . وكان بروس يذهب مع ذلك إلى أن كلمة Wine كما ترد في هذا الكتاب لا تعني الخمر المسكرة إلا في بعض المواضع القليلة وأنها تعني في الأكثر عصير العنب (غير المتخمر) ، وأن تفسيرها بالخمر المسكرة في هذه المواضع وضع للأسماء في غير مواضعها وتسمية المسميات بغير أسمائها الصحيحة . وذهب هذا القس العالم إلى أن عيسى عليه السلام ما كان في تقواه وورعه ليحول الماء إلى خمر مسكرة كما جاء في الإنجيل ، وما كان المسيح ليزيد سكارى الحفل سكراً ، بل إن الأقرب إلى المنطق والصواب أن يكون عيسى قد حول الماء إلى عصير عنب ، وهو ما سماه مترجم الإنجيل إلى اللغة الإنكليزية خمراً خطأ (Wine) . وقد أيد بروس مذهبه في هذا كله بالرجوع إلى نصوص في الكتاب المقدس نفسه [10] .

وكذلك ينتهي بنا المقال في هذا الفصل إلى ما كنا ابتدأناه به من الحديث عن تسمية المسميات بغير أسمائها وما يؤدي إليه ذلك من الخلط والالتباس والمفاسد الكثيرة التي تختفي وراء أسماء لا حقائق لها كما يقول كُنْكْ فُو دْزُو ، فليست الربا فائدة (وتغيير الاسم لا يَنقله عن معناه المَوْجُودِ فيهِ) ، وليس منكر الدين عِلمانياً ولا صلة له بالعلم من قريب أو بعيد ، ولم تكن الخمر في حقيقتها طلاء ولا باذقاً ، وهي ليست شراباً روحياً بل هي نصيب الشيطان من الشراب كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولا يخلو من الغول المشروب الذي يقال له (المشروب الخالي من الغول) ، فقد كثر هذا الخلط في الأسماء وتسمية المسميات بغير أسمائها حتى أصبح ذلك في اللغة العربانية خاصة أصلاً يقاس عليه أو كالأصل الذي يطرد لكثرته .

4- خاتمة المقال :

وقد أصبحنا وأصبح الناس من حولنا في مفترق من الطرق في هذا العصر ، وليس لنا إلا أن نختار ، وهما خياران لا ثالث لهما ، فإما أن نختار أن نكون أمة عربية كريمة فصيحة في لغتها وإما أن نختار هذه اللغة العربانية المفرنجة المحدثة ونغدو أمة من هذه الأمم التي طرأت في هذا العصر ممن لا تاريخ لها ولا ماض ولا يرجى لها حاضر ولا مستقبل . فأي اللغتين نريد أو يراد لنا ؟ وأي النسبتين نبتغي أو يبتغى لنا ؟ أنسبة عربية صريحة صحيحة أم نسبة عربانية فلنقسة هجينة ، ولغة عربية فصحى تربطنا بتراثنا وماضينا أم لغة عربانية ركيكة منبتة الصلة بهذا الماضي وذلك التراث ؟

5- المراجع

[1] معجم النسبة بالألف والنون ، لأحمد مطلوب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1421 .

[2] معجم البلدان ، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي ، دار صادر ، بيروت ، 1397 .

[3] اللغة الشاعرة ، لعباس محمود العقاد ، مكتبة غريب ، القاهرة .

[4] هذا الشعر الحديث ، لعمر فروخ ، دار لبنان للطباعة والنشر ، بيروت ، 1398 .

[5] A dictionary of literary terms ، لمؤلفه J. A. Cuddon ، Penguin Books ، 1404 .

[6] The Koran, Penguin classics .

[7] Schmidt&Walzel, Physik in unserer Zeit, Juli 1984, Yahrgang 15, Nr. 4.

[8] المُغْرِب في حُلى المِغْرِب ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة .

[9] مصطفى صادق الرافعي كاتباً عربياً ومفكراً إسلامياً ، لمصطفى الشكعة ، جامعة بيروت العربية ، بيروت ، 1390 .

---

[10] راجع في ذلك مقالته الموسومة : Did Jesus Make and Drink Alcoholic Wine? . وراجع أيضاً كتاب :
Bible Wines and the Laws of Fermentation by William Patton, Challenge Press, Emmaus, PA.